المرأة في مصر

« أمس واليوم »

كانت المرأة في البلاد المصرية سيدة بيتها ومديرة دفة النظام العائلي. كانت العضد الاعظم لزوجها تساعده في السرآء والضرآء وليس بينها وبين الرجل هذا الحجاب الكثيف. فبينما كان الرجل يعمل في النسيج كانت المرأة تخرج الى اجتلاب حاجيات المعيشة وعند ما يكون مشتغلاً في الفلاحة كانت تقدم له احتياجاته الوقتية وتعاونه على عمله فكونت معه مملكة عامرة قوية . لم يبخسها الرجل حقاً من حقوقها ولذلك كانت ميالة اليه عاملة الى ترقية شؤونه وعند الزواج يعقدون عقداً بينهما على شروط يرتضيها كل واحد منهما حتى اذا اخل احدهما بها اضطر الى دفع الغرامة المفروضة فيها ولذلك كانت المرأة عارفة بواجبها نحو الرجل حتى لقد قال عنها المؤرخ القديم ديودورس الصقلي لما رأى حالتها الراقية : ان الرجال عبيد النساء ولكن في الحقيقة لم تكن عبودية بل ان الرجل يحترم المرأة كما هي تحترمه ولم تقصر في شيء من حقوقه المقدسة بالمرة . كانت العفة تحيط بها اينما حلت وسارت لان العقاب شديد على من يخل بشرط من شروط الزواج فكان الرجل يعاقب عقاباً شديداً ربما افضى الى موته والمرأة تجازى جزآء يفضي الى تشويه خلقتها حتى تعرف من بين النساء بانها اخلت بشروط الزيجة وهدمت سياج العفاف .. فالشريعة كانت حصناً حصيناً تتقي بها المرأة شر تهجم الرجل على شرفها وثلمه ولذلك كانت

سيدة حرة مالكة لنفسها عارفة ما يجب عليها ولها . فلذلك كان الرجل يحترمها احتراماً كلياً بخلاف الامم الاخرى التي رآها ديودورس وغيره من المؤرخين الاقدمين فان المرأة كانت عند غير المصريين عبدة حتى ان المصري لا يتخذ الا امرأة واحدة ولذلك قال بان المرأة سيدة الرجال كيف لا والابن ينسب اليها وليس في ذلك من عار عليه وكانت تجلس على عرش الملك وتدير دفة المملكة وتسوس الرعية بالحكمة لانها تتعلم منذ نعومة اظفارها العلم الصحيح وتعرف واجباتها جيداً . ارتقت المملكة المصرية ارتقاءً عظيماً بفضل تربية المرأة وسادت على غيرها من الممالك لا بل انها شادت اركان التمدن ورقت العلوم والفنون حتى ان علماء مدرسة عين شمس قالوا لليونان : انتم اطفال في العلم . وكفى ان المرأة المصرية كانت تعلم العلم وتخطب على المنابر وتسوس المملكة عند ما كانت المرأة في غير البلاد المصرية في مهد السبودية والذل تدفن حية مع الرجل اذا مات . فليقابل المنصف بين الحالتين فيرى بان المرأة المصرية كانت ارقى حالاً في الزمان الاول بفضل العلم

جاء زمان النصرانية والمرأة المصريه على حالها لم تفقد شيئاً من الحرية لان الدين المسيحي لم يبخسها حقها ولم يأمر بحرمانها من التعليم بل قضى بأن يعاملها الرجل معاملة حسنة لانها شريكته ولذلك بقيت حالها على ما كانت عليه من الرقي . فلما افتتح العرب مصر صلحاً وكان من مبادئ الدين الاسلامي الحجاب وكانت الحكومة وقتئذٍ اسلامية نفذ على المرأة المصرية حكم الحجاب فانزوت من هذا الوقت في اركان البيوت

وانحطت قيمتها ولا سيما من عهد الحاكم بامر الله الذى امر بسجن المرأة فمكثت سبع سنوات وهي لا تخرج من بيتها حتى تأصلت العادة فيها وصارت لازمة . ومن هذا العهد وهي تلاقي من صنوف العذاب اشكالاً والواناً الى ان وصلت الى ما هي عليه اليوم، انحطت المرأة وصارت مهضومة الحقوق لا تجسر على طلب شئ مما لها حق في طلبه وما ذلك الا لانها كانت غير متعلمة . يهتضم الرجل حقها ويبغي عليها ولم تغه بينت شفة كانها لم تخلق الا لتكون امة حتى وفي عصر النور الذى نحن فيه نرى المرأة اطوع للرجل من ظله ومع ذلك يقول هل من مزيد . انني لا اريد ان تخرج المرأة على الرجل وتتحكم فيه بل قصدى ان تعرف بان لها حقاً مقدساً يجب ان تعرفه كما ان الرجل يجب ان يعرف حده فلا يتجاوزه وهذا ما يدعو اليه الانصاف ان كل فريق يعرف بان عليه واجباً مقدساً

المرأة ضعيفة بالطبع ولا تقوى ان تجارى الرجل في الاعمال الشاقة لان امراض الحمل والرضاعة وغيرها تجعلها عرضة للامراض في كل آونة ولكنها تدير حركة بيتها الداخلية بينما يسعى الرجل خارجاً . فتدبر له بيته بما يرضي وتعمل كل الاعمال الآيلة الى خير العائلة . فمتى تربت تربية صحيحة عادت الى حالها الاولى ولو كانت في خباء لانها تعرف كيف تسلك مسلكاً حسناً يوصلها الى طريق الحيوة الحقيقية حيث تربي اولادها تربية صحيحة وتنظم حال معيشتها وترقي شؤون مملكتها العائلية بالاشتراك مع زوجها الذي هو بمثابة ملك للعائلة وهي وزيره

اما وقد رأينا ذلك فما علينا الا ان ننادي بترقية شؤون المرأة بعد ان

عرفنا ان انحطاطها ادّى الى انحطاط الشؤون العامة وهوى بها الى احط دركات الانحطاط . وليس الغرض من تعليمها الاقتصار على القراءة فقط لانه ليس بكافٍ ان تكون قارئة بل الغرض تعليمها العلم الصحيح المقرون بالدين حتى يتربى في قلبها منذ نعومة اظفارها خوف الله فتشب وهي عارفة ان من اقدس واجباتها التمسك بتقوى الله في كل عمل تعمله وعندئذٍ متى صارت اماً فانها تربي ناشئة يعرفون ما يجب عليهم نحو الله ونحو العائلة ونحو الوطن، تتكون منهم هيئة اجتماعية نافعة عاملة على الرقي

التربية المنزلية

ان البيوت والمنازل هي مدارس حقيقية يتلقى فيها الاطفال مبادئ المعارف والآداب ومن الخطأ المبين ان يهمل امرها الى الدرجة التي نعلمها كلنا الآن

فليس فينا من يجهل ان المدة الاولى التي يقضيها الطفل في بيت والديه كلها تذهب سدًى على غير جدوى . فلا يستفيد فيها علماً ولا يجني فائدة ولا يتلقن من والديه في الغالب غير دروس الجبن والخوف والاعتقادات الفاسدة العقيمة وما شاكل ذلك من الامور التي نراها ونسمعها باذاننا كل يوم

على اننا اذا نظرنا الى البلاد المتمدنة التي تعودنا الاقتداء بها في كل حركاتها وسكناتها رأينا الحال عندهم بعكس ما ذكرنا على خط مستقيم

فلا يكاد الطفل عندهم يبلغ السنة الثانية من عمره حتى تبتدىء